٤٠ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى؟

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْه ـ أنَّ رسُـــولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«يَتَعَاقَبُونَ فيكُمْ مَلَائِكَةٌ بالليْلِ ومَلَائِكَةٌ بالنَّهارِ ، وَيَجْتمعُونَ فِى صَلَاةِ العَصْرِ وصَلَاةِ الفَجْرِ (١) ثُمَّ يعرجُ الذِينَ بَاتُوا فِيكُم فَيسألُهم وهُوَ أعلمُ بهِم : كَيْفَ تركتُم عِبَادِى؟ فَيقولُونَ : تركْنَاهُم وهُمْ يُصلُّونَ ، وَأتيْناهُمْ وهُمْ يُصلُّونَ» (٢).

للحق سبحانه وتعالى ملائكة يتناوبون على حراسة الإنسان وحفْظه ، ليلاً ونهاراً من الأشياء التى لا يمكن الاحتراز منها ، ومثال هذا هو تلك الإحصاءات التى خرجتْ عن البشر الذين تلدغهُم الثعابين ، فقد ثبت أنها لا تلدغُهم وهم نائمون ، بل في أثناء صَحْوتهم. أى: ساعة يكونون فى ستْر النوم ، فهناك ما يحفظهم ، أما في اليقظة فقد يتصرّف الإنسان بطيْش وغفلة فتلدغه الأفعى.

ونحن نقول فى أمثالنا الشعبية «العَيْنُ عليها حارس» ، ونلحظ كثيراً من الأحداث التى تبدو لنا غريبة ، كأن يسقط طفل من نافذة دَوْر علوى فلا

(١) قال النووى فى شرحه على صحيح مسلم (المجلد ٣/ ص١٣٩) طبعه دار القلم ـ بيروت ١٩٨٧: «أما اجتماعهم فى الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وتكرمة لهم أن جعل اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم فى أوقات عباداتهم واجتماعهم على طاعة ربهم، فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير».

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى فى صحيحه (٥٥٥) ، ومسلم فى صحيحه (٦٣٢) وأحمد فى مسنده (٢/ ٨٤٦) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

obeikan.com

يُصاب بسوء ؛ لأن الحق سبحانه شاء أَنْ تحفظَه الملائكة المعقّبات من السوء ؛ لأن مهمة الحفظة أن يحفظوا الإنسان من كل سوء.

وهكذا نرى أن الحق سبحانه قد أعدَّ للإنسان الكون قبل أنْ يخلقَه ليستخلفه فيه ، أعدَّ السماوات ، وأعدَّ الأرض ، وسخَّر الشمس والقمر ، وأخرج الثمرات ، وجعل الليل يُغشِي النهار.

كُلُّ ذلك أعدَّه سبحانه للخليفة قبل أن يوجد الخليفة ، وهو سبحانه قيُّوم على هذا الخليفة ، فيصونه أيضاً بعد الخَلْق، ولا يدعه لمقوِّمات نفسه ليدافع عنها ، فيما لايستطيع الدفاع عنها، ويُكلِّف الله الملائكة المعقبات بذلك.

يقول الحق سبحانه: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** .(١١) ﴾ (الرعد)

وقد ينصرف معنى المعقِّبات إلى الملائكة الذين يتعقَّبون أفعال الإنسان وكتابة حسناته ، وكتابة سيئاته ، ويمكن أنْ يقوما بالعملية معاً ، حِفْظه وكتابة أعماله ، فإنْ كتبوا له الحسنات فهذا لصالحه.

ولقائل أنْ يقولَ : ولكنهم سيكتبون السيئات ، وهذه على الإنسان وليستْ له. وأقول : لا ، ويحسُن أنْ نفهم جيداً عن المشرِّع الأعلى ، ونعلم أن الإنسانَ إذا ما عرف أن السيئة ستُحسب عليه وتُحصَى ، وتُكتب ، يمسك كتابه ليقرأه ، فلسوف يبتعد عن فِعْل السيئات.

فكتابة الحسنات والسيئات هي مسألة لصالح الإنسان ، وحين يتعاقبون على الإنسان فكأنهم يصنعون دوريات لحماية الفرد.

فالإنسان مخدوم من كُلِّ أجناس الكون حتى من الملائكة ، فالكون كلُّه يدور من أجلك وفي خدمتك ، يعطيك عطاء دائماً لا ينقطع دون سَعْي منك.

والحق سبحانه يقول: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ (الانفطار)

فهناك من الملائكة مَنْ سيُسجِّل على الإنسان أعماله، وكل قَوْل يقوله، وكلّ فِعْل يفعله، بل ويكتبون هذه الأفعال.

ويقول تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ (ق)

فكل لفظ له رقيب عتيد، أي: ملائكة يحفظون ويحصون أعمالكم ويُسجِّلونها، وهم الكرام الكاتبون، وكلما تقدم العلم أعطانا فَهْماً للمعانى الغيبية، وإنْ كانت المعانى الغيبية التى نستقبلها عن الله دليلنا فيها السماع، ففيه رقيب وعتيد يكتبان فقط، هكذا قال ربنا، فآمنا بما قال وانتهتْ المسألة، وهذا هو المطلوب.

ولذلك قال الحق: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ (٣)﴾ (البقرة)

لأن الإيمان لو كان بالمشهد، فما الفَرْق ـ إذن ـ بين الناس؟ إن الإيمان فى كماله وقمّته هو الإيمان بالغيب، فإذا قال الحق سبحانه ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ (ق)

فهذا خبر عن الملائكة الذين يكتبون الحسنات ويكتبون السيئات، وحين ننظر إلى البشر نجدهم يتفاوتون، ويرتفع بعض منهم على بعض فى صفات وقدرات، وكلّما تقدم الزمن عرف الإنسان سراً من أسرار الله يترقى به.

وقديماً عندما صنعوا جهاز التسجيل كان حجمه كبيراً، ثم تقدم العلم حتى صَغُر حجم المسجّل. إذن: كلما تقدمت الصنعة صغُرَتْ الآلة، لدرجة أنهم صنعوا مُسجِّلاً فى حجم الساعة، ثم صنعوا آخر فى حجم «فَصِّ الخاتم»، وصنعوا مُسجِّلاً يشبه الحبوب، وينثرونها فى أىِّ مكان عندما يريدون التقاط أسرار جماعة أو أسرار مجلس.

إذن : كلما قويَتْ قدرة الصانع دقَّتْ الصنعة ، فإذا نسبتها لله ، فأين دِقَّة الذى صنعتَه أنت بجانب دِقَّة صنعة الله ؟

فإذا كان واحدٌ من البشر قد استطاع أنْ يأتىَ بمُسجِّلات غير مرئية مع أن قدرته محدودة ، وحكمته فى الصنعة محدودة ، فإذا قال ربُّك : إن هناك ملائكة لن تراهم ، وستُحصِى عليك أعمالك وهم غَيْب فَقُلْ : على العين والرأس.

ورسول الله ﷺ يقول هنا: « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر».

فحديثه ﷺ ملحوظ فيه الوقت الزمنىّ للحركة الإنسانية ، فكل حركات الإنسان وعمله يكون من الصبح إلى العصر ، ثم يرتاح الإنسان غالباً من بعد ذلك، ثم ينام.

والحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾

(الإسراء)

أى : أن ملائكة الليل يشهدون ، ومعهم ملائكة النهار (١)

وحديث رسول الله ﷺ ملحوظ فيه الوقت الزمنى للحركة الإنسانية، فكل حركات الإنسان وعمله يكون من الصبح إلى العصر، ثم يرتاح الإنسان غالباً من بعد ذلك ، ثم ينام.

والمعقبات يكُنَّ من بين يدى الإنسان ومن خلفه، ومن بين يديه من أجل الرصد، ولذلك وجدنا أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أثناء الهجرة النبوية

(١) أخرج أحمد فى مسنده (٢/ ٤٧٤) والترمذي في سننه (٣١٣٥)، وابن ماجه في سننه (٦٧٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى هذه الآية:﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (الإسراء) « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار».

كان يسير بعض الوقت أمام النبي ﷺ، وكان يسير البعض الآخر خلف النبي ﷺ.

كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يتقدم ليرقب: هل هناك من يرصد الرسول أم لا؟ ثم يتراجع إلى الخلف ليمسح كل المكان بنظره ليرقب: أهناك من يتبعهما؟

وهكذا حرص أبو بكر على أنه يحمي الرسول ﷺ من الرَّصد أوالتربُّص؟[1] ويقول الحق سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١١: الرعد)

والسطحي يقول: إن تلك الملائكة يحفظون الإنسان من الأمر المراد به من الله.

ونقول: إن الله لم يُنزل الملائكة ليعارضوا قدره، وهذا الحفظ لايكون من ذات الإنسان لنفسه، أو من الملائكة ضد قدر الله، والمعنى هنا ينصرف إلى أن الملائكة إنما يحفظون الإنسان بأمر الله.

والحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت)

والاستقامة هي أخذ الشيء على قوامه دون اعوجاج، والاستقامة تتطلب سيراً؛ لأنه سيسميه الصراط المستقيم، والطريق قد يكون واسعاً مثل

(١) أخرج البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٧٦) أن عمر بن الخطاب قال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن له رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك».

(الأوتوستراد) ولكنه ليس صراطاً، فيريد الله منك أن تجعل الوسيلة إلى الغاية من عمل التكليف مستقيمة مثل الصراط، لايميل شعرة إلى اليمين ولا إلى الشمال، لأن الله يريد أن يقرب عليك المسافة التى ستوصلك إلى الغاية فقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا ⟨٣٠⟩﴾ (فصلت)

أى: ساروا فى الاتجاه المستقيم، دون أن يلتفتوا يميناً ولا شمالاً ولم يربعوا في الطريق الواسع، بل ساروا فى وسطه دون ميل أو انحراف ، فالخط المستقيم هو أقصر بُعْد بين نقطتين.

فالحق ـ سبحانه وتعالى ـ حين يطلب منا ذلك يريد أن يُثِّمر حركتنا، ولا يتعبنا فى الحركات الطويلة التى لاتجدى، ولكن يجعلها حركة قريبة وموصلة للغاية.

والحق سبحانه يلفتنا هنا إلى أهم ركن من أركان الاستقامة ، وهى الصلاة، وهى لاتسقط عن المؤمن أبداً ، حتى لوصلَّى بخطور أفعال الصلاة على قلبه ،أو يصلى بحركة رموش عينيه ، فهى لاتسقط عن المسلم ما دام له وعى .. لماذا؟

لأن الصلاة حضور فى معيّة الله، فالزكاة تكون عندجمع المحصول ، والصوم مرة فى العام فى شهر رمضان ، والحج مرة فى العمر ، أما الصلاة فكل يوم خمس مرات ، فالعبد صنعه ربه، والذى صنعه يريده أن يذهب إليه كل يوم خمس مرات.

ولذلك، خذ آلة من آلات البشر، واجعل مهندساً يتابع حركتها وصيانتها كل يوم خمس مرات، هل يصيبها عطب؟ لايمكن ، كذلك أنت حين تذهب إلى ربك كل يوم خمس مرات.

لا يمكن أن يصيب حياتك عطب ، ولأن المهندس يصلح الآلة بإمكاناته هو فى الدنيا ، فقد يحدث العطب وغماً عنه.

أما الحق سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ فيصلحه بشيء ؟؟ لاتدركه ، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا جاء ميعاد الصلاة يقول: «أرحنا بها يا بلال» ولم يقل : أرحنا منها.

فالصلاة التى هى أم الاستقامة لا تسقط عن المكلف أبداً ، فقد يكون الإنسان مريضاً أو مسافراً فلا يصوم ، وقد لا يكون عنده دخل فلا يزكى ، وليس عنده قدرة مالية أو بدنية فلا يحج.

إذن: قد تسقط عنه هذه الأركان ، إلا أن الصلاة لا تسقط وشهادة أن لا إله إلا الله التى هى القمة ، لو قالها الإنسان مرة واحدة دخل الإسلام ، أما الصلاة فكل يوم خمس مرات.

وقد أخذت الصلاة قيمتها من أنها جاءت فرضيتها بالمباشرة لا بالوحى وذلك فى ليلة الإسراء والمعراج ، فهى قد أخذت قيمتها بالتكليف المباشر من الله عزوجل.

وهى مع كل هذا تجمع كل الأركان التى بنى عليها الإسلام ؛ لأن أركان الإسلام وأولها شهادة التوحيد نقولها فى الصلاة ، والصوم يتمثل فى أن المصلى يصوم فى صلاته عما هو أكثر مما يصوم عنه فى رمضان.

ففى رمضان يصوم المسلم عن الطعام والشراب والجماع (أى: يصوم عن شهوتى البطن والفرج) أما فى الصلاة فهو يصوم عما هوأكثرمن هذا ، فهو يمسك أيضاً عن الحركة وعن الكلام ، وعن النوم.إذن: فى الصلاة صيام أبلغ وأشمل.

وفى الصلاة زكـاة أيضاً ؛ لأنك تقـتطع من وقتك جـزءاً للصلاة ، فـهذا زكاة عن وقتـك ، كما أن فيهـا حجاً لأنك لا تصلى إلا إذا تحريت الـتوجه إلى بيت الله الحرام ، وتستحضر توجهك إلـيه ، وتضعه أمام عينيك كل يوم خمس مرات.

إذن : الصلاة وإن كـانت لا تسقط عن المكلف ، فقـد شملت كل ألوان العبادة ، ولذلك قالوا : إن الفارق بين المؤمن والكافر هى الصلاة.

والصـلاة فـيهـا التنزلات كلهـا ؛ ولذلك تجـد العظمـة فى أن الله حـين يدعـوك هو الذى يقـول لك تعـال ، وإن لم تأت فـأنت عَـاصٍ ، مع أنك أنت المحتاج إليه.

ونحن فى الدنيـا حين يحب الإنسان أنْ يقـابلَ مسئـولاً كبـيراً يكتب له طلبـاً بالمقابلة ، وقـد يقبل الطلب أو يرفـضه ، فـإنْ قبله لا بُدَّ أن يعـرف سبب المقابلة ، ثم يُحدِّد موعد المقابلة ومكانها ، وبعد ذلك هو الذى يُنهى المقابلة.

هذا فى البشر ، لكن الله لا يصنع ذلك مع خَلْقه ، بل إن أردْتَ أنْ تُكلِّم ربك قِفْ فى أىِّ مكان وادخل فى الصلاة ، ستصبح فى مـعيته ، ولن يسأل عن سبب المقابلة ، وماذا تريد؟

وهو سبـحانه لا يريد منك إلا أنْ تؤمنَ به ، ثم تسلك زمام القُـرْب ، فلا تطلب منه أنْ تذهب إليـه ، ولكنه يفـرض عليك أنْ تأتيه فـهو عـزيز ، ولكنك تلقاه فى أىِّ وقت تشاء ، وفى أىِّ مكان تحب.

فـإذا أردتَ أنْ يذكـرَك الله فـاذْكُرْه ، وإنْ ذكـرتَهُ فى نفـسك ذكـرك فى نفسه، وإنْ ذكرته فى ملأ يُطيع ويعـصى ، ذكرك فى ملأ من الملائكة لا يعصون الله أبداً.

فانظر إلى هذه العبودية لله ، كم تعطيك من العِزَّة والكرامة.

ورَبُّ العزة ـ سبحانه ـ هنا يسأل ملائكته ـ وهو أعلم بما يسأل عنه: كيف تركتُم عبادِيَ؟ فيقولون: «تركناهم وهم يُصَلُّون، وأتيناهم وهم يصلون».

إنهم عباد لله ، يحافظون على صلواتهم وقُربهم من الله عز وجل ، وهؤلاء يقول عنهم الحق سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)** ﴾ [الأنعام]

فالصلاة عماد الدين ، مَنْ أقامها فقد أقام الدين ، وحين نُحلِّل الأمر تحليلاً طبيعياً نجد أن الناس تنفر من الطاعات ؛ لأنها تأخذ زمناً يحبون أنْ يقضُوه في اللعب.

وحين نقول لواحد مثلاً: اترك عملك وصَلِّ ، قد يرد: لا ، لأنَّي حين أترك عملي يضيع عليَّ كذا. ولو كان طبيباً لذكر عدداً من المرضى سيكشف عليهم ، ولو كان عاملاً لَقَال : إنَّ توقُّف الآلة في أثناء الصلاة يجعلني أخسر كثيراً.

وهنا نقول : يا أخي تعالَ إلى الطاعة ، والبركة تُعوِّض لك ما تظن أنك تخسره.

وإذا نظرت إلى أركان الإسلام تجدها بالنسبة لانشغال الزمن بها لا تأخذ الكثير من الوقت ، فشهادة أنْ «لا إله إلا الله محمد رسول الله» لا تحتاج منك إلا أنْ تقولها مرة واحدة ، وهذا رُكْن لم يستغرق زمناً طويلاً بالنسبة لأدائه ، والزكاة لا تأخذ منك إلا ما تعطيه يوم الحصاد بالنسبة لزكاة الزروع ، وهذا يستغرق وقتاً قليلاً ، وكذلك زكاة المال آخر العام ، والصوم شهر في السنة ،

وإذا كان زَمَنُ الصوم أوسع قليلاً ؛ إلا أنه وَقْتٌ لا يأتى إلا شهراً فى كل عام ، والحج مرة فى العمر إنْ كنت مستطيعاً.

إذنْ : أنت تجد التكاليف الركْنية فى الإسلام بالنسبة للأزمان وقتها يسير وقليل لِمَنْ يحرص عليها ، لكن الصلاة تُؤدَّى فى كل يوم خمس مرات ، ورُقْعتها بالنسبة للزمن أوسع ، وأداؤها يحتاج إلى طهارة مِنْ حدث أو جنابة ، وكذلك طهارة المكان ؛ لذلك جاءت الصلاة رُكْناً أصيلاً فى الإسلام ، وأنت لا تعرف الإنسان إنْ كان مسلماً إلا إذا سمع الأذان وقام يُصلِّى ؛ لذلك فالصلاة هى الفارقة بين المسلم وغير المسلم.

ثم إن الحق سبحانه يُذيب بالصلاة الفوارق الاجتماعية التى تقتضيها أعمالنا ، فتلتفت ساعة يقول المؤذن (الله أكبر) تجد أن الكُلَّ قد جاء ، الغنىّ قبل الفقير ، والخفير مع الأمير ، فيخلع الجميع أقدارهم خارج المسجد مع نعالهم ليتساوَوْا فى الصلاة ، ومَنْ له رئيس يتكبَّر عليه يراه وهو ساجد مِثْله لله ، فتريحه لحظة استطراق العبودية.

ولنفرض أن كُلاً منا سيُصلِّى بمفرده فى الصلاة اليومية ، لكن عندما يُؤذِّن المؤذِّن لصلاة الجمعة يأمرنا الحق أنْ نذرَ ونترك كل شىء لنُؤدِّى صلاة الجمعة معاً ، ويرى الضعيف عظيماً يتضرع مثْله إلى الله ، ويرى القوى نفسه وبجانبه الضعيف ، وحين يعود كُلٌّ منَّا إلى عمله تسقط أقنعة القوة والزَّهْو؛ لأننا جميعاً نقف أمام خالق واحد ، وكلنا سواء.

إن هذا هو الاستطراق الاجتماعى؛ لأننا حين نرقب بعضنا فى أثناء الصلاة نجد أنفسنا فى حَضْرة الرب الذى أعدَّ لنا الكون ، وسخّره لنا ، وأعطانا الطاقات ، وأعطانا المواهب.

والصلاة تهَبُ المؤمنين الاطمئنان ؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه [1] أمر قام إلى الصلاة [2]

وليجرب هذا كُلٌّ واحد منّا عندما يصعبُ عليه شيء ، وتتأزم الأمور ، وتمتنع الأسباب ، فليقُمْ ويتوضأ وضوءاً جديداً ويبدأه بالنية حتى ولو كان مُتوضِّئاً ، وليقف بين يدى الله ، ولَيقُلْ: إنه أمر يا ربّ عزَّ علىَّ فى أسبابك ، وليُصلِّ بخشوع.

وأنا أجزم بأن الإنسان ما إنْ يُسلِّم من هذه الصلاة إلا ويكون الفرج قد جاء ، ألم نتلقَّ عن رسول الله هذا السلوك البديع ؟ إنه كلما حَزَبه أمْر قام إلى الصلاة ؟

وما دامت الصلاة تريح القلب فلأذهبْ إليها وألْقى ربى ، فحين يقف المؤمن بين يدَىْ الله ويُصلِّى ، يمتلىء بالرضا والتوازن النفسى ، فالمؤمن يذهب إلى الخالق سبحانه ليسأله أنْ يُخفِّف عنه الهَمَّ والحزن.

وأفضل مكان نلتجىء فيه إلى الله تعالى هو بيته ، فتردُّد المسلم على بيت الله ليكون فى حَضْرة ربه دائماً هو إصلاحٌ لما فى النفس ، فبيوت الله هى أماكن تلقِّى النور المعنوىّ من عند الله سبحانه وتعالى ، وهو النور الذى يُعطينا ارتقاء الروح.

فالمساجد لها مهمة العيادة للطبيب الخالق[3] الذى خلق هذه النفس ،

---

(١) حزبه أمر. أى : أصابه. أى : إذا نزل به مهم أو أصابه غَمٌّ . وحزبه الأمر يحزبه : نابه واشتد عليه. وحوازب الخطوب ، وهو جمع حازب ، وهو الأمر الشديد. [لسان العرب ـ مادة : حزب].

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده (٥/ ٣٨٨) ، وأبو داود فى سننه (١٣١٩) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

(٣) تعبير «الطبيب الخالق» الذى استخدمه فضيلة الشيخ الشعراوى هنا هو تعبير استخدمه رسول الله ﷺ ، وذلك فى حديث أبى رمثة رضي الله عنه قال : انطلقت مع أبى نحو النبى ﷺ ، فإذا هو ذو وفرة بها ردع حناء وعليه بردان أخضران فقال له أبى : أرنى هذا الذى بظهرك فإنى رجل طبيب قال : «الله الطبيب ، بل أنت رفيق ، طبيبها الذى خلقها» أخرجه أحمد فى مسنده (٤ / ١٦٣) ، وأبو داود فى سننه [٤٢٠٦ ، ٤٢٠٧].

ويعرف كيف يداويها ، وليس للطبيب الدارس في كلية الطب الذى يعرف أشياء ، وتغيب عنه أشياء.

ونحن فى المساجد إنما نعيش فى حضرة الحق تبارك وتعالى نتلقّى منه التجليّات والفُيوضات التى تعالج نفوسنا ، أكثر مما يعالجها أبرع أطباء العالم.

فأنت فى بيت الله تكون فى ضيافة الله ، وأنت تعلم أنه إنْ جاءك أحد فى بيتك على غير دعوة فأنت تُكرِمه ، فإذا كان المجِيء على موعد فكرمُك يكون كبيراً ، فما بالنا بكرم مَنْ خلقنا جميعاً ؟

إن الحق سبحانه وتعالى يجزيك من فَيْض كرمه ، من ساعة أن تنوى زيارته فى بيته ، فأنت فى صلاة منذ أنْ تبدأ فى الوضوء فى بيتك ، استعداداً للصلاة فى المسجد ؛ لأنه سبحانه وتعالى يريد أنْ يطيل عليك نعمةَ أنْ تكونَ فى حَضْرته.

وربُّ العزة سبحانه حين يدعونا إلى بيته بالأذان ، فلك أنْ تعلم أنك إنْ خالفتَ هذه الدعوة تُعاقب ، ولكن ليس معنى هذا أن الله يُيسِّر لك بيته لتزوره فى أىِّ وقت.

فهذه الدعوة بالأذان للصلاة تُمثِّل الحرص من الله سبحانه على أنْ يلقاك ليُعطيك من فيوضاته ما تستعين به على مُكدِّرات الحياة ، ولكن إنْ أحببتَ أنْ تجلسَ فى المسجد قبل الصلاة أو بعدها فافعل ، تعالَ فى أىِّ وقت ، وصَلِّ كما تشاء.

فإذا قلتَ «الله أكبر» تكون فى حَضْرة الله ، وإنْ لم تستطع فصلواتك الخمس فى اليوم الواحد هى القِسْط الضرورى لصيانة نفسك المؤمنة ؛ لأنك تُقابل ربك أثناء الصلاة وتُعلن الولاء له سبحانه .

فالصلاة ـ إذن ـ خير أراده الله لك حتى لا تأخذك أسباب الحياة ، وأراد سبحانه بها أنْ تُفيقَ إلى منهجه الذى يُصلح بالك ، ويُصلح الدنيا لك وبك ، فلا تأخذك الأسباب ، بل تأخذ أنت بالأسباب.

وحين تسمع «الله أكبر» ينادى بها المؤذِّن لصلاة الظهر ـ مثلاً ـ فعليك أنْ تتركَ أسباب الدنيا ، وتذهب لتقف بين يدى الله عز وجل ، ثم تخرج من الصلاة إلى الأخذ بالأسباب إلى أن تسمع أذان العصر ، ثم أذان المغرب، ثم أذان العشاء.

كلُّ هذا تذكيرٌ لك بالله الخالق العظيم حتى لا تشغلك الدنيا ، فتنسى أن صيانة نفسك بيد خالقك سبحانه ، وأطول فترة بين العشاء والفجر نكون فيها نائمين ، فلا يأخذنا متاع الدنيا.

إذن : فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يريد منا الولاء دائماً ، فإذا كنتَ تعتزُّ بالله فأنت تُديم الولاء له باستمرار الصلاة ، وأنت حين تسجد لله وتتذلَّل له ، فإنه سبحانه يزيدك عِزَّة ، ويكون معك دائماً ، ويقيك ذُلَّ الدنيا.

وقد جعل الحق سبحانه الذين يحافظون على صلواتهم من ورثة الفردوس ، فقال:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون]

أى : أنهم يُؤدُّونها فى أوقاتها لايُؤخِّرونها عنها ، فبعض الناس يقولون: وقت الصلاة ممدود إلى ما قبل دخول وقت الصلاة التى بعدها ، مع أن هذا من رحمة الله بنا وتخفيفه علينا ، وهذا يكون للمضطر فقط ؛ لأنك لا تضمن أنْ تعيشَ من العشاء إلى الفجر.

ويقول الحق سبحانه فى آية أخرى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ[1] وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)﴾ [البقرة]

فما دُمْتُم قد ذُقْتم حلاوة الصلاة فى القرب من معية ربكم ، وذلك أجدر وأَوْلَى أنْ تتمسَّكوا بها أكثر ، وذلك القولُ يسرى على الصلوات الخمس التى نعرفها.

وقد أخفى الله ذكر الصلاة الوسطى ، ليكون هذا أَدْعَى للمحافظة على الصلوات جميعاً.

فلو حاولنا تحديد الصلاة الوسطى باعتبارات مختلفة فسنجد أن الله أبهمها ، لتتحقق ديمومة طاعة الله ولزوم الخشوع والخضوع [٢].

فإذا كان الاعتبار بفرضية الصلاة ، فإنَّ أولَ صلاة فرضها الله عز و جل هى صلاة الظهر ، هذا أول فَرْض ، وبعده العصر ، فالمغرب ، فالعشاء ، فالفجر ، فإنْ أخذت الوسطى بالتشريع فهى صلاة المغرب ، وهذا رأىٌ يقول به كثير من العلماء.

وإنْ أخذنا الوُسْطى بحسب عدد ركعات الصلاة فستجد أن هناك صلاة

---

(١) قال أبو بكر الجصاص فى «أحكام القرآن» (١/ ٥٣٦) :«أكّد الصلاة الوسطى بإفرادها بالذكر مع ذكره سائر الصلوات ، وذلك يدل على معنيين.
ـ إما أن تكون أفضل الصلوات وأولاها بالمحافظة عليها فلذلك أفردها بالذكر عن الجملة.
ـ وإما أن تكون المحافظة عليها أشد من المحافظة على غيرها».

(٢) ذكر ابن كثير فى تفسيره (١/ ٢٩٠) الاختلاف الكثير فى تحديد الصلاة الوسطى ، فساق الأقوال كلها بأدلتها (١/ ٢٩٠ ـ ٢٩٤) : أنها صلاة : الصبح ، الظهر ، العصر ، المغرب ، العشاء. وقيل : بل الصلاة الوسطى مجموع الصلوات الخمس وخطأ هذا القول. وقيل : بل هى صلاة الجماعة. وقيل : صلاة الجمعة. وقيل : صلاة الخوف . وقيل : صلاة عيد الفطر . وقيل : صلاة الأضحى. وقيل : الوتر. وقيل : الضحى. ثم قال :« وتوقف فيها آخرون لما تعارضت عندهم الأدلة ولم يظهر لهم وجه الترجيح ولم يقع الإجماع على قول واحد ، بل لم يزل النزاع فيها موجوداً من زمان الصحابة وإلى الآن».

قوامها ركعتان هى صلاة الفجر ، وصلاة من أربع ركعات هى صلاة الظهر والعصر والعشاء ، وصلاة من ثلاث ركعات هى صلاة المغرب ، والوسط فيها هى الصلاة الثلاثية ، وهى وسط بين الزوجية والرباعية ، فتكون هى صلاة المغرب أيضاً.

وإنْ أخذناها بالنسبة للنهار فالصبح أول النهار ، والظهر بعده ، ثم العصر والمغرب والعشاء ، فالوُسْطى هى العصر.

وإنْ أخذناها على أنها الوَسَط بين الجَهْرية والسرية ، فيحتمل أن تكون هى صلاة الصبح أو صلاة المغرب ؛ لأن الصلوات السرية هى الظهر والعصر ، والجهرية هى المغرب والعشاء والفجر ، وبين العشاء والظهر تأتى صلاة الصبح ، أو صلاة المغرب باعتبار أنها تأتى بين الظهر والعصر من ناحية ، والعشاء والصبح من ناحية أخرى.

وإنْ أخذناها لأن الملائكة تجتمع فيها ، فهى فى طرفى النهار والليل فذلك يعنى صلاة العصر أو صلاة الصبح ، إذن : فالوسط يأتى من الاعتبار الذى تُحسب به إن كان عدداً أو تشريعاً ، أو عدد ركعات ، أو سرية أو جهرية، أو بحسب نزول ملائكة النهار والليل ، وكل اعتبار منَ هؤلاء له حكم.